
المادة: العقيدة والأديان
المقرر: علم الأديان
الأستاذ الدكتور يوسف الكلام


أكاديمية نماء
للعلوم الإسلامية والإنسانية



المحاضرة الحادية عشرة



تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة

أبو الريحان البيروني



"إنّما صدق قول القائل «ليس الخبر كالعيان» لأنّ العيان هو إدراك عين الناظر عين المنظور إليه في زمان وجوده وفي مكان حصوله".

أبو الريحان البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة



"والكتابة نوع من أنواعه يكاد أن يكون أشرف من غيره، فمن أين لنا العلم بأخبار الأمم لولا خوالد آثار القلم".

أبو الريحان البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة



“ثم إنّ الخبر عن الشيء الممكن الوجود في العادة الجارية يقبل الصدق والكذب على صورة واحدة وكلاهما لاحقان به من جهة المخبرين لتفاوت الهمم وغلبة الهراش والنّزاع على الأمم”.

أبو الريحان البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة



"فمِن مخبر عن أمر كذب يقصد فيه نفسه فيعظّم به جنسه لأنّها تحته أو يقصدها فيزري بخلاف جنسه لفوزه فيه بإرادته"

أبو الريحان البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة



"ومعلوم أنّ كلا هذين من دواعي الشهوة والغضب المذمومين. ومن مخبر عن كذب في طبقة يحبّهم لشكر أو يبغضهم لنكر، وهو مقارب للأوّل فإنّ الباعث على فعله من دواعي المحبّة والغلبة. ومن مخبر عنه متقرّبا إلى خير بدناءة الطبع أو متّقيا لشرّ من فشل وفزع".

أبو الريحان البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة



"ومن مخبر عنه طباعا كأنّه محمول عليه غير متمكّن من غيره وذلك من دواعي الشرارة وخبث مخابىء الطبيعة. ومن مخبر عنه جهلا، وهو المقلّد للمخبرين وإن كثروا جملة أو تواتروا فرقة بعد فرقة فهو وهم وسائط فيما بين السامع وبين المتعمّد الأوّل".

أبو الريحان البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة



"فإذا أسقطوا عن البين بقي ذاك الأوّل أحد من عددناه من المتخرّصين والمجانب للكذب المتمسّك بالصدق هو المحمود الممدوح عند الكاذب فضلا عن غيره".

أبو الريحان البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة



"فقد قيل «قولوا الحقّ ولو على أنفسكم» وقال المسيح عليه السّلام في الإنجيل ما هذا معناه: لا تبالوا بصولة الملوك في الإفصاح بالحقّ بين أيديهم فليسوا يملكون منكم غير البدن، وأمّا النفس فليس لهم عليها يد. وهذا منه أمر بالتشجّع الحقيقيّ، فالخلق الذي تظنّه العامّة شجاعة إذا رأوا إقداما على المعارك وتهوّرا في خوض المهالك هو نوع منها، فأمّا جنسها العالي على أنواعها فهو الاستهانة بالموت، ثم سواء كانت في قول أو كانت في فعل، وكما أنّ العدل في الطباع مرضيّ محبوب لذاته مرغوب في حسنه كذلك الصدق إلّا عند من لم يذق حلاوته أو عرفه وتحاماه".

أبو الريحان البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة



وكما أنّ العدل في الطباع مرضيّ محبوب لذاته مرغوب في حسنه كذلك الصدق إلّا عند من لم يذق حلاوته أو عرفه وتحاماه، كالمسؤول من المعروفين بالكذب: هل صدقت قطّ؟ وجوابه: لولا أنّي أخاف أن أصدق لقلت: لا.

أبو الريحان البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة



“فإنّه العادل عن العدل والمؤثّر للجور وشهادة الزور، وخيانة الأمانة واغتصاب الأملاك بالاحتيال والسرقة وسائر ما به فساد العالم والخليقة، وكنت ألفيت الأستاذ أبا سهل عبد المنعم بن عليّ ابن نوح التفليسيّ -أيّده الله- مستقبحا قصد الحاكي في كتابه عن المعتزلة الإزراء عليهم في قولهم: «إنّ الله تعالى عالم بذاته»”.

أبو الريحان البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة



"وعبارته عنه في الحكاية أنّهم يقولون "إنّ الله لا علم له" تخييلا إلى عوامّ قومه أنّهم ينسبونه إلى الجهل".

أبو الريحان البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة



"... جلّ وتقدّس عن ذلك وعمّا لا يليق به من الصفات، فأعلمته أنّ هذه طريقة قلّ ما يخلو منها من يقصد الحكاية عن المخالفين والخصوم".

أبو الريحان البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة



“ثم إنّها تكون أظهر فيما كان عن المذاهب التي يجمعها دين واحد ونحلة لاقترابها واختلاطها، وأخفى فيما كان عن الملل المفترقة وخاصّة ما لا يتشارك منها في أصل وفرع وذلك لبعدها وخفاء السّبيل إلى تعرّفها، والموجود عندنا من كتب المقالات وما عمل في الآراء والدّيانات لا يشتمل إلّا على مثله”.

أبو الريحان البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة



"... فمن لم يعرف حقيقة الحال فيها اغترف منها ما لا يفيده عند أهلها، والعالم بأحوالها غير الخجل إن هزّت بعطفه الفضيلة أو الإصرار واللجاج إن رخت فيه الرذيلة".

أبو الريحان البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة



“ومن عرف حقيقة الحال كان قصارى أمره أن يجعلها من الأسمار والأساطير يستمع لها تعلّلا بها والتذاذا لا تصديقا لها واعتقادا”.

أبو الريحان البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة



"وكان وقع المثال في نحوى الكلام على أديان الهند ومذاهبهم، فأشرت إلى أنّ أكثرها هو مسطور في الكتب هو منحول وبعضها عن بعض منقول وملقوط، مخلوط غير مهذّب على رأيهم ولا مشذّب".

أبو الريحان البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة



"فما وجدت من أصحاب كتب المقالات أحدا قصد الحكاية المجرّدة من غير ميل ولا مداهنة سوى أبي العبّاس الإيرانشهريّ، إن لم يكن من جميع الأديان في شيء بل منفردا بمخترع له يدعو إليه".

أبو الريحان البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة



"درك البغية في الأديان والعبادات"



"ولقد أحسن في حكاية ما عليه اليهود والنصارى، وما يتضمّنه التوراة والإنجيل، وبالغ في ذكر المانويّة وما في كتبهم من خبر الملل المنقرضة، وحين بلغ فرقة الهند والشمنيّة صاف سهمه عن الهدف وطاش في آخره إلى كتاب زرقان ونقل ما فيه إلى كتابه".

أبو الريحان البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة



"وما لم ينقل منه فكأنّه مسموع من عوامّ هاتين الطائفتين، ولمّا أعاد الأستاذ أيّده الله مطالعة الكتب ووجد الأمر فيها على الصّورة المتقدّمة، حرص على تحرير ما عرفته من جهتهم ليكون نصرة لمن أراد مناقضتهم، وذخيرة لمن رام مخالطتهم".

أبو الريحان البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة



"وسأل ذلك ففعلته غير باهت على الخصم، ولا متحرّج عن حكاية كلامه وإن باين الحقّ واستفظع سماعه عند أهله، فهو اعتقاده وهو أبصر به".

أبو الريحان البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة



“وليس الكتاب كتاب حجاج وجدل حتّى استعمل فيه بإيراد حجج الخصوم ومناقضة الزائغ منهم عن الحقّ”.

أبو الريحان البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة



"وإنّما هو كتاب حكاية فأورد كلام الهند على وجهه وأضيف إليه ما لليونانيّين من مثله لتعريف المقاربة بينهم، فإنّ فلاسفتهم وإن تحرّوا التّحقيق فإنّهم لم يخرجوا فيما اتّصل بعوامّهم عن رموز نحلتهم وموضعات ناموسهم".

أبو الريحان البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة



"ولا أذكر مع كلامهم كلام غيرهم، إلّا أن يكون للصوفية أو لأحد أصناف النصارى، لتقارب الأمر بين جميعهم في الحلول والاتّحاد".

أبو الريحان البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة



"وكنت نقلت إلى العربيّ كتابين؛ أحدهما في المبادىء وصفة الموجودات، واسمه «سانك». والآخر في تخليص النفس من رباط البدن، ويعرف بـ «ياتنجل». وفيهما أكثر الأصول التي عليها مدار اعتقادهم دون فروع شرائعهم، وأرجو أنّ هذا ينوب عنهما وعن غيرهما في التقرير، ويؤدّي إلى الإحاطة بالمطلوب بمشيئة الله".

أبو الريحان البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة

أكاديمية نماء
للعلوم الإسلامية والإنسانية